المبحث الثالث

مع أهل الكتاب

من الجبهات الدعوية التي طرقها القرضاوي بشدة ، وولجها بقوة ، جبهة أهل الكتاب ـ اليهود والنصارى ـ وتعددت كتابات الشيخ في هذا المضمار ، وقد أسفرت كتاباته عن عدد من الكتب والرسائل ، منها ما هو قائم بذاته ، ومنها ما هو مقتبس من كتابات سابقة ، ومن أبرز ما كتبه الشيخ في هذا المضمار :

١- غير المسلمين في المجتمع الإسلامي .
٢- الأقليات المسلمة والحل الإسلامي .
٣- موقف الإسلام العقدي من كفر اليهود والنصارى .
٤- أعداء الحل الإسلامي .
٥- القدس قضية كل مسلم .
٦- المسلمون والعولمة .
٧- فتاوى معاصرة / ج٣ .

هذا غير ما هو مبثوث للشيخ في كتبه وأشعاره ومحاضراته ، فضلاً عن خطبه وندواته ، والمتابع لخطب الشيخ وبرامجه ، يلحظ أنه لا تكاد تخلو خطبة من خطبه ، أو موعظة من مواعظه ؛ إلا وهو يعرج على الخطر الداهم من اليهودية الصهيونية الحاقدة ، والنصرانية الصليبية الماكرة .

أهل الكتاب في فكر القرضاوي :

والشيخ القرضاوي في هذه الجبهة الدعوية ـ التي يخوض غمارها منذ زمن بعيد ـ يتعامل مع القوم بالإنصاف الذي تعلمه من القرآن والسنة ، وجعله

سمة من سمات منهجه الدعوي ، ولهذا فإن القرضاوي يرى أن معاملة أهل الكتاب يجب أن تكون على هذا النحو :

١- أن المجتمع الإسلامي بني على أنه مجتمع عقيدة وفكرة ؛ ولكنه لا يمنع من وجود تجمعات أخرى تدين بغير الإسلام .

٢ـ أن أهل الكتاب لهم حقوق وأهمها :

الأول : وهو الحماية من الاعتداء الخارجي ، كما فعل شيخ الإسلام مع «قطلوشاه» حين سمح بإطلاق أسرى المسلمين دون أهل الذمة ، فأبى شيخ الإسلام الإ فك أسر الجميع[١].

الثاني : الحماية من الظلم الداخلي وهذه الحماية تشمل :

- حماية الدماء والأبدان .
- حماية الأموال .
- حماية الأعراض .
- التأمين عند العجز والشيخوخة والفقر .
- حرية التدين .
- حرية العمل والكسب .
- تولي كافة الوظائف في الدولة المسلمة إلا ما غلب عليه الصبغة الدينية.[٢]

٣- وإذا كان لأهل الكتاب حقوق فعليهم واجبات وأهمها :

- أداء الجزية .

---

(١) القصة ذكرها صاحب شرح السير الكبير ١ ص ١٠٨ طبعة الجامعة .

(٢) انظر : غير المسلمين في المجتمع الإسلامي ص ٥ وما بعدها ، و انظر : أحكام الذميين والمستأمنين في دار الإسلام د : عبد الكريم زيدان ص ٦٠٣ وما بعدها .

- التزام أحكام القانون الإسلامي في المعاملات المدنية ونحوها .
- احترام شعائر المسلمين [1].

٤- ويؤكد الشيخ بأن مصطلح «أهل الذمة» الذي جرى به العرف الإسلامي في تسمية أهل الكتاب ليس سبة ولا عاراً كما يتوهم البعض ؛ بل دلالة خاصة ومعنى دقيق ، يقول الشيخ : والذمة كلمة معناها العهد والضمان والأمان ، وإنما سموا بذلك لأن لهم عهد الله ، وعهد رسوله ، وعهد جماعة المسلمين أن يعيشوا في حماية الإسلام ، وكنف المجتمع الإسلامي آمنين مطمئنين [2].

ويقول أيضاً : فليست عبارة «أهل الذمة» عبارة ذم أو تنقيص ، بل هي عبارة توحي بوجوب الرعاية والوفاء تديناً وامتثالاً لشرع الله [3].

ويذهب الشيخ إلى جواز تغيير هذا الاسم «أهل الذمة» إن أرادوا ذلك ، والشيخ في ذلك لا يتقيد بالأسماء والعناوين إنما العبرة عنده بالمسميات والمضامين ، والنظر يكون إلى المقاصد والمعاني ، لا إلى الألفاظ والمباني ، وله في ذلك سلف حيث وافق الفاروق عمر ﷺ نصارى تغلب في أخذ الجزية باسم الصدقة وقال : هؤلاء القوم حمقى رضوا بالمعنى وأبوا الاسم [4].

ولم يأنف الشيخ في أن يسمي «أهل الذمة» بحاملي الجنسية الإسلامية بلغة العصر وقد سبقه إلى ذلك علماء ومعاصرون أمثال الشهيد عبد القادر عودة رحمه الله والدكتور عبد الكريم زيدان حفظه الله [5].

---

(١) انظر : غير المسلمين في المجتمع الإسلامي ص ٣٤ وما بعدها .

(٢) انظر : المرجع السابق ص ٩ وما بعدها .

(٣) انظر : الأقليات المسلمة والحل الإسلامي ص ٣٣ .

(٤) انظر : المرجع السابق ص٣٣ ، و انظر : فقه الزكاة ط . مكتبة وهبة .

(٥) انظر : غير المسلمين في المجتمع الإسلامي ص ٣٣ .

والشيخ انطلاقاً من آيات القرآن وأحاديث المصطفى ﷺ يذهب إلى التسامح مع أهل الكتاب[1] ويلخص الشيخ الأساس الفكري لتسامح المسلمين مع أهل الكتاب في النقاط التالية :

١- اعتقاد كل مسلم بكرامة الإنسان أيا كان دينه أو جنسه أو لونه ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ ﴾ (الإسراء: ٧٠).

٢- اعتقاد المسلم أن اختلاف الناس في الدين واقع بمشيئة الله ، الذي منح هذا النوع من خلقه الحرية والاختيار ﴿ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾ (الكهف: ٢٩)

٣- أن المسلم ليس مكلفاً أن يحاسب الكافرين على كفرهم ، أو يعاقب الضالين على ضلالتهم ﴿ وَإِن جَٰدَلُوكَ فَقُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ * ٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ (الحج: ٦٨-٦٩).

٤- إيمان المسلم بأن الله يأمر بالعدل ، ويحب القسط ، ويدعو إلى مكارم الأخلاق ؛ ولو مع المشركين ﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾ (المائدة: ٨)[2].

ويرى الشيخ أن من صور التسامح : الحوار مع أهل الكتاب يهوداً أو نصارى ؛ والشيخ لا يرى في ذلك غضاضة مستدلاً بحوار الله مع ملائكته ، بل

---

(١) يفهم كثير من الكتاب كلام الشيخ على غير مقصوده ، ويخلطون بين التسامح الديني الذي يفرضه الإسلام ، أو البر والقسط الذي تؤكده سورة «الممتحنة» ، وبين التحابب والود الذي ينهى عنه الإسلام ؛ والذي لا يقره الشيخ أبداً ، فالتسامح والبر والقسط أمور ظاهرة تتعلق بالظاهر ، وهي جائزة . وهذه الأمور هي التي يدعو إليها الشيخ ، أما المنهي عنه فهو الود والحب والميل القلبي ، وهذا هو المنهي عنه ؛ وهذا لا يدعو إليه الشيخ ؛ بل يحاربه وينكره .

(٢) انظر : الأقليات الدينية والحل الإسلامي ص ٤٦ ـ ٤٩ بتصرف ، و انظر : موقف الإسلام العقدي من كفر اليهود والنصارى ص ٦٤ـ ٦٦ بتصرف ، وانظر : فتاوى معاصرة ج٣ ص ١٨٥ ـ ١٨٧ بتصرف .

وحواره مع شر خلقه إبليس ، فضلاً عن محاورة الرسل أقوامهم ، وقد قال الله لنبيه محمد ﷺ ﴿ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ (النحل:١٢٥).

وقد شارك الشيخ فعلياً في عدد من الحوارات مع المستشرقين يهوداً ونصارى ، منها مؤتمر عقد في باريس في أكتوبر ١٩٩٤م ، وكان آخر هذه المؤتمرات ما عقد في الدوحة ، ومنها مؤتمر عقد في كوين بألمانيا مع الشيخ الغزالي رحمه الله وآخرين .

وحين يتوجس بعض الدعاة من الحوار ؛ يطمئن الشيخ هؤلاء الدعاة بأننا لا يخاف علينا ، ولن نتأثر بهم ؛ بل ينبغي أن نؤثر فيهم ، يقول الشيخ : ومن إخواننا من علماء الشريعة من يتوجس خيفة أو يتوقع شراً ، من وراء هذه اللقاءات ، ويرى أنها نوع من الغزو لنا ، ومحاولة التأثير فينا ، وكأننا نحن الطرف الضعيف الذي يخاف على نفسه ، ولم لا يكون العكس ؟ لم لا نكون نحن المؤثرين لا المتأثرين ، والغزاة لا المغزوين ، ونحن أصحاب الدين الخاتم ، والكتاب المعجز ، والعقيدة الموافقة للعقل ، والأخلاق الملائمة للفطرة، والشريعة المحققة للعدل ؟

ثم إننا مأمورون بالجدال بالتي هي أحسن ، كما أمرنا بالدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة في آية واحدة ، فلماذا نعمل بجزء من الآية ، ونعطل الجزء الآخر ؟

وقد قال عز وجل : ﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَٰحِدٌ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾ (العنكبوت:٤٦)، فالذين ظلموا وتجاوزوا من أهل الكتاب - مثل اليهود الآن والنصارى في عهد الحروب الصليبية مثلاً - لا جدال بيننا وبينهم ، إنما نجادل أهل الكتاب الذين لم يظلمونا ولم يتعدوا علينا ، ولم يتجاوزوا الحدود معنا [1].

---

(١) انظر : ثقافتنا بين الانفتاح والانغلاق ص ٥١ ، ٥٢ .

ويرفض الشيخ أدنى تنازل يأتي من هذا الحوار سواء في العقائد أو العبادات ، يقول الشيخ : ولهذا نرى أن كل دعوة تقوم على أساس التنازل عن أمر من الأمور الجوهرية في الدين ، سواء أكانت في العقائد ، أم في العبادات ، أم في أمر الحلال والحرام ونحوه من أمور التشريع الأساسية للفرد أو للأسرة أو المجتمع ، إنما هي دعوة مرفوضة شرعاً .

ولا ينسى الشيخ أن يضع لهذا الحوار أسساً وعلامات أهمها :

١- أن يكون الحوار بالحسنى .

٢- التركيز على القواسم المشتركة بيننا وبينهم كالإيمان بالغيب ، ووجود الله ، والدعوة إلى مكارم الأخلاق .

٣- ألا يسقط الحوار فريضة الدعوة التي كلفنا الله بها ، والتأكيد على عالمية هذه الدعوة الخاتمة .

٤- الوقوف معاً لمواجهة أعداء الإيمان الديني ، ودعاة الإلحاد في العقيدة، والإباحية في السلوك ؛ كما فعل الأزهر ورابطة العلم الإسلامي والفاتيكان في وقوفهم صفاً واحداً في مواجهة مؤتمر السكان في القاهرة عام ١٩٩٤م ، ومؤتمر المرأة في بكين عام ١٩٩٥م [1].

القرضاوي بين حوار الأديان والتقريب بين الأديان :

وإذا كان الدعاة يحاربون فكرة ما يسمى بالتقريب بين الأديان فإن الشيخ القرضاوي من أشد الناس رفضاً لهذه الفكرة ، ولكنه يؤكد على ضرورة تحديد المفاهيم ، وقد قال السابقون الحكم على الشيء فرع من تصوره .

التقريب بين الأديان كلمة تطلق ، ويراد بها أكثر من معنى ، أو أكثر من مفهوم . بعضها مرفوض ، أو يجب أن يرفض . وبعضها مقبول ، أو لا بأس أن يقبل .

---

(١) انظر : ثقافتنا بين الانفتاح الانغلاق ص٥٢ ، وانظر فتاوى معاصرة ج٣ ص ٥٤١ - ٥٤٣ باختصار .

فأما المعنى أو المفهوم المرفوض للتقريب بين الأديان ، فهو الذي يقصد به : إذابة الفوارق الجوهرية بين الأديان المختلفة بعضها وبعض ، كما بين «التوحيد» في الإسلام و« التثليث» في النصرانية ، وما بين «التنزيه» في العقيدة الإسلامية ، و« التشبيه» في العقيدة اليهودية .

ومن نتائج ذلك : اختلاف النظرة إلى المسيح عليه السلام بين المسلمين والنصارى ، فالنصارى ـ على اختلاف فرقهم ومذاهبهم ـ يعتبرون المسيح إلهاً أو ابن إله ، أو ثلث إله ، أو عضواً في شركة ثلاثية من الآلهة : الأب والابن وروح القدس .

والمسلمون ينظرون إلى المسيح بوصفه رسولاً من أولي العزم من الرسل ، أنزل الله عليه الإنجيل فيه هدى ونور وموعظة للمتقين ، وآتاه البينات ، وأيده بروح القدس ، وعلمه الكتاب والحكمة ، ومنحه من الآيات الكونية والمعجزات الحسية ما لم يؤت غيره من الرسل ، وذكر القرآن هنا من الآيات ما لم يذكر في الإنجيل ، مثل أن يخلق من الطين كهيئة الطير ، فينفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله ، ومثل المائدة التي أنزلت من السماء ، وسميت باسمها «سورة المائدة» .

ولكن المسيح ـ مع هذا ـ بشر رسول ، وعبد رسول ، دعا الناس إلى عبادة الله لا إلى عبادة نفسه .

كما أن من الفوارق الأساسية بين المسلمين وأهل الكتاب : أن كتاب المسلمين «القرآن» محفوظ من كل تغيير وتبديل ، بضمان الله تعالى ووعده الذي لا يخلف : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ (الحجر:٩). ولا عجب أن يحفظه عشرات الألوف من المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها ، حتى إن الأعاجم ليحفظونه ما يخرمون منه حرفاً ، وأكثرهم لا يعرفون معنى كلمة مما يحفظونه .

بخلاف التوراة والإنجيل اللذين قامت الأدلة على وقوع التحريف فيهما بالحذف والزيادة والتغيير ، وهذا لم يقله علماء المسلمين وحدهم ، بل قاله

كثيرون في عصرنا الحديث من علماء الغرب أنفسهم ، من يهود ونصارى على اختلاف نحلهم[1].

لكن هذا التسامح الذي تبناه الشيخ وعرف به ، ولامه عليه بعض الناس ، لم يمنع الشيخ من أن يوضح موقف الإسلام العقدي من تكفير اليهود والنصارى[2]، وقد أعلن الشيخ هذا مراراً وتكراراً في كتبه ومحاضراته وبرامجه التلفزيونية .

وإنك لتعجب أخي القارئ حين ترى بعض المخلصين يعدون الشيخ القرضاوي ممن يجوزون مودة الكفار[3]، أو يحاول التقرب منهم ، ولن نقول لهؤلاء اقرءوا ما قاله الشيخ ؛ ولكن اقرءوا قائمة كتبه لتروا كتابه « موقف الإسلام العقدي من كفر اليهود والنصارى» فهل يرى القارئ أدنى مودة ، أو أدنى تقريب .

ولما كثرت المقالات حول موقف الشيخ من أهل الكتاب ، تحامل الشيخ على نفسه فرد دعوى المرجفين ، ومقالات المتطاولين ، وشبهات المغرضين ، وكانت شبه هؤلاء القوم تتبلور في نقاط أربع :

١- موالاة الشيخ للمسالمين من أهل الكتاب .

٢- احترام الشيخ للأديان المحرفة .

٣- قول الشيخ بأن النصارى إخوان لنا .

٤- قول الشيخ بأننا لا نحارب اليهود من أجل العقيدة .

وقد فند الشيخ هذه الدعاوى وتلك الأقاويل في كتابه « فتاوى معاصرة» الجزء الثالث ، أما عن النقطة الأولى فقال : يزعم هؤلاء القوم أني متساهل مع

---

(١) انظر : فتاوى معاصرة ج٣ ص ٥٣٩ ـ ٥٤٠ بتصرف .

(٢)خرج أيضاً بعض الكتاب معترضين على تكفير الشيخ لليهود والنصارى ، بل يرون ذلك سببا لأعمال العنف والتشدد والاقتتال مع النصارى أينما كانوا .

(٣) انظر على سبيل المثال ما كتبه د : صالح الفوزان في كتابه الإعلام بنقد كتاب الحلال والحرام .

الكفار من اليهود والنصارى واستدلوا على ذلك بجملة أشياء ، أولها : أني أرى « موالاة المسالمين منهم » .

ويرجع الشيخ خطأ هؤلاء إلى أنهم لا يفرّقون بين الكافر المسالم ، والكافر المحارب فيقول : مفهوم كلام هؤلاء أنهم لا يفرقون بين المسالمين وغيرهم ، فكل الكفار عندهم سواء . ولا أعرف مذهباً ولا فقيهاً ولا متكلماً ولا مفسراً أو محدثاً أو عالماً من علماء الأمة ، يسوي بين الكافر المسالم والكافر المحارب .

وعلى كل حال لست أنا الذي فرّق بين الصنفين ، ولكن فرّق بينهما ربنا عز وجل ، في كتابه العزيز في آيتين من كتاب الله تعالى ، تعتبران دستوراً في علاقة المسلم بغير المسلم ، وذلك قوله تعالى في سورة الممتحنة : ﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ * إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُواْ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ (الممتحنة:٨-٩).

فحددت الآية الثانية الكافرين الذي نهت عن موالاتهم ﴿ أَن تَوَلَّوْهُمْ ﴾ وهم الذين قاتلونا في الدين وأخرجونا من ديارنا ، وظاهروا على إخراجنا .

كما حددت الآية الأولى الصنف الآخر ، الذين لم ينهنا الله تعالى أن نبرهم ونقسط إليهم ، وهم الذين لم يقاتلونا في الدين ولم يخرجونا من ديارنا ، أي المسالمون لنا . فشرع لنا أن نقسط إليهم ، أي نعدل معهم ونبرهم . والقسط أن نعطيهم حقهم ، والبر أن نزيدهم فوق حقهم . القسط أن نأخذ منهم ما لنا من حق ، والبر : أن نتنازل عن بعض ما لنا من حق وبعبارة أخرى : القسط هو العدل ، والبر هو الإحسان .

الله سبحانه الذي فرق بين المسالمين وغيرهم ، سواء كانوا يهوداً أم نصارى أم مشركين ، والآيتان في سورة الممتحنة نزلتا في شأن المشركين .

هؤلاء يحرمون مجرد المودة للكافر أي كافر ، وأنا لا أحرمها للكافر المعادى لله ولرسوله وللمسلمين ، وهو الذي جاء في قوله تعالى : ﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ﴾ (المجادلة: ٢٢).

أما غيره فمن حقك أن توده وتبش له ، وتحسن عشرته ما دام حسن الخلق ، حسن المعاملة ، ومن هنا شرع الله تعالى نكاح الكتابية بقوله عز وجل : ﴿ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ ﴾ (المائدة: ٥) . ومن ثمرات هذا الزواج السكينة والمودة والرحمة بين الزوجين . كما قال تعالى : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾ (الروم: ٢١)

أم يريد هؤلاء زواجاً لا مودة فيه ، وأكثر من هذا : أن مقتضى الزواج أن يثمر المصاهرة وهي رابطة طبيعية أخرى مع روابط الدم والنسب ، كما قال تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴾ (الفرقان: ٥٤) . [1]

ويقول عن النقطة الثانية : وأما قولهم إني أرى احترام أديانهم السماوية «المحرفة» ـ يعنون اليهود والنصارى ، فلست أنا الذي قرر ذلك ، إنما قرر ذلك الإسلام وأحكامه ، حين فرق بينهم وبين غيرهم من المشركين عباد الأوثان . وسماهم «أهل الكتاب» وناداهم «يا أهل الكتاب» وجعل لهم من الأحكام ما يميزهم عن غيرهم ؛ مثل أكل ذبائحهم ، وتزوج نسائهم ، كما قال تعالى في سورة المائدة : ﴿ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ ﴾ (المائدة: ٥).

---

(١) انظر : فتاوى معاصرة ج٣ ص ١٨٩ ـ ١٩٠ .

وقد أشرنا إلى ما يقتضيه حِل الزواج من نسائهم من روابط المصاهرة ، وحقوق الأرحام وذوي القربى .

ومعنى هذا كله : أنهم أقرب إلينا من غيرهم من سائر الملل ، ولهذا نهانا القرآن أن نجادلهم إلا بالتي هي أحسن ، وذلك في قوله سبحانه : ﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴾ (العنكبوت:٤٦).

فنحن مأمورون إذن أن نحاورهم بأحسن الطرق ، وأرق الأساليب ، إيناساً لهم وتقريباً لهم إلى ديننا ، إلا الذين ظلموا كاليهود اليوم ، فلا حوار بيننا وبينهم، ولهذا أنكرت « لقاء شيخ الأزهر والحاخام» اليهودي الإسرائيلي ، الذي أراد أن يخترق حصن الأمة الثقافي العتيد « الأزهر » بدعوى الحوار الديني [1].

ويقول عن النقطة الثالثة : وأما دعواهم أني أقول : المسيحيون إخوان لنا ، فذلك قلته في مقام معين عن المسيحيين المصريين « الأقباط » . . فقد قلت : إنهم إخوان لنا في الوطن .

وهذا تعبير صحيح ولا غبار عليه ، فالأخوة أنواع ومستويات ، أعلاها بلا ريب : « الأخوة الدينية » التي تقوم على العقيدة الواحدة ، وهي التي جاء فيها قول الله تبارك وتعالى : ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَ أَخَوَيۡكُمۡ ﴾ (الحجرات:١٠) ، وهي التي امتن الله بها على عباده فقال : ﴿ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا ﴾ (آل عمران:١٠٣) . وقال تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَيَّدَكَ بِنَصۡرِهِۦ وَبِٱلۡمُؤۡمِنِينَ * وَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡۚ لَوۡ أَنفَقۡتَ مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مَّآ أَلَّفۡتَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيۡنَهُمۡۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴾ (الأنفال:٦٢-٦٣) .

---

(١) انظر : فتاوى معاصرة ج٣ ص ١٩١ .

وقال ﷺ : «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه» [1].

ولكن هناك أنواعاً أخرى غير هذه الأخوة ودون هذه الأخوة ، ولكنها موجودة في الحياة ، ولها حقوقها وآثارها .

ومن هذه «الأخوة القومية» التي تقوم على رابطة العرق الواحد ، أو الجنس الواحد ، مثل رابطة «العروبة» بين العرب على اختلاف أديانهم .

وهناك «الرابطة الوطنية» التي تقوم على أساس الوطن الواحد والإقليم الواحد ، مثل رابطة المصريين في مصر ، والسوريين في سوريا ، والعراقيين في العراق ، وهكذا .

وهناك «الأخوة الإنسانية» العامة ، التي تربط البشر بعضهم ببعض باعتبار الآدمية المشتركة .

وأنا حين قلت عن المسيحيين العرب الذين يشاركوننا في الانتماء إلى العروبة أو المصريين الذين يعايشونا في وطن واحد هو وطننا ووطنهم : إنهم إخوان لنا ، لم أقصد أنهم إخوان لنا في الدين ، فديننا قطعاً مختلف . ولكن قصدت إنهم إخوان لنا في الانتماء القومي ، أو الانتماء الوطني ، وإطلاق الأخوة بهذا المعنى جائز ومشروع .

وهذا الإطلاق له أصل من القرآن الكريم ، هو الذي دعاني أن أقول ذلك ، منذ سنين ، وقد كنت قبل ذلك أتردد في إطلاقه .

هذا الأصل هو أن كتاب الله تعالى وصف أنبياء الله المرسلين إلى أقوامهم بأنهم «إخوان لهم» مع أنهم كفروا بهم وكذبوهم وعصوهم .

نقرأ في هذا في سورة الشعراء قوله تعالى : ﴿ كَذَّبَتْ عَادٌ ٱلْمُرْسَلِينَ * إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴾ (الشعراء:١٢٣-١٢٤) .

---

(١) رواه البخاري في المظالم (٢٤٤٢) ، ومسلم في البر والصلة والآداب (٢٥٨٠) عن ابن عمر .

﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلِينَ * إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴾[1]
(الشعراء: ١٦٠-١٦١)

ويقول عن النقطة الرابعة[2]: وأما إنكارهم علي قولي : إننا لا نحارب اليهود من أجل العقيدة فهذه حقيقة يصدقها الواقع .

فقد عاش اليهود بين ظهراني المسلمين قروناً طويلة ، لهم ذمة الله ، وذمة رسوله ، وذمة جماعة المسلمين ، محميين في دينهم وأنفسهم وأموالهم وأعراضهم ، متمتعين بالثروة والجاه والمنزلة عند أهل الحكم من المسلمين . ولم يفكر أحد من المسلمين في حروبهم ، ولا كانوا قادرين على ذلك ، أو راغبين في العهود الماضية .

بل رأيناهم حينما طردوا من أسبانيا وغيرها من أوربا ، وسعتهم دار الإسلام وأوطان المسلمين ، ووجدوا فيها كهف الأمن ، ودار السلام [3].

حتى كان بعض العلماء قديماً يتحير في معنى الحديث الصحيح المتفق عليه « لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا اليهود . . . . »[4] ، ويقول : كيف نقاتل اليهود وهم في ذمتنا ؟!

فمتى بدأت الحرب إذن بيننا وبين اليهود ؟

إنها بدأت في القرن العشرين ، بعد أن ظهر المشروع الصهيوني إلى حيز الوجود ، وأنشأ اليهود لهم عصابات إرهابية معروفة تستخدم القوة والعنف في

---

(١) انظر : فتاوى معاصرة ج٣ ص ١٩٢ ـ ١٩٣ .

(٢) يراجع في هذه النقطة ما كتبه الشيخ في كتبه أعداء الحل الإسلامي ، درس النكبة الثانية ، الحلول المستوردة ، أولويات الحركة الإسلامية ، كما يراجع فتاوى الشيخ في رده على الشيخ ابن باز رحمه الله في الصلح مع اليهود ، ورده على شيخ الأزهر في مقابلته للحاخام اليهودي ، وفتاواه في تحريم زيارة القدس والصلاة في المسجد الأقصى ، وتحريمه للمشاركة في انتخابات الكنيست الإسرائيلي ، وانظر القدس قضية كل مسلم ص ٥٠ وما بعدها .

(٣) في الأصل دار الإسلام ولعل الأقرب دار السلام .

(٤) رواه البخاري في الجهاد والسير (٢٩٢٦) و رواه مسلم في الفتن (٢٩٢٢) عن أبي هريرة .

فرض إرادتها وسيطرتها في فلسطين ، وبدأت الهجرات الجماعية المنظمة إلى فلسطين ، وبدأ التآمر المبيت لتهويد فلسطين ، بمساعدة دولة الانتداب البريطاني التي انتدبتها «عصبة الأمم» لحكم فلسطين ، بعد انتصار الحلفاء على الدولة العثمانية في الحرب العالمية الأولى ، والاستيلاء على تركة الرجل المريض .

بدأت الحرب مع اليهود مناوشات وصدمات مسلحة مع أهل فلسطين ، ثم اتسعت بعد قيام دولة الكيان الصهيوني في عام ١٩٤٨ م ، فدخلت الجيوش العربية السبعة المعروفة ، ولم تحقق للأسف ما كان مرجواً منها ، وهزمت جيوشنا أمام العصابات الصهيونية . وقامت الدولة الجديدة على الأراضي التي استولت عليها بالدم والرصاص والعنف ، أو بالغدر والحيلة ، من أرض فلسطين.

ولم تكتف بذلك ، بل في كل حرب تكسب أرضاً ، وتضم أملاكاً ، وتقيم مستوطنات ، والمعركة مستمرة بيننا وبينهم .

ترى لماذا كانت الحرب بيننا وبين اليهود إذن ؟ هل حاربناهم لأنهم كفروا بالله ورسوله ؟ أو لأنهم قالوا : العزير ابن الله ، أو لأنهم حرفوا التوراة ، أو لأنهم قتلوا الأنبياء بغير حق ؟

بالقطع ليست الحرب لذلك ، إنما حاربناهم ، ولا زلنا نحاربهم ، وسنظل نحاربهم لأنهم اغتصبوا أرضنا ، وشردوا أهلنا . واغتصبوا أرض الإسراء والمعراج ، أرض المسجد الأقصى أولى القبلتين ، وثالث المساجد المعظمة في الإسلام .

ولا يعني هذا أن حربنا مع اليهود بعيدة عن الدين . كلا ، فإن الدفاع عن الأرض الإسلامية فريضة دينية ، والقتال لتحريرها من أعظم الجهاد في سبيل الله[1].

القرضاوي وتكفير اليهود والنصارى :

والشيخ في تكفيره لليهود والنصارى ، لم يكن مبتدعاً لهذا الأمر بل هو متبع لا مبتدع ، وهو خلف لمن سبقه من السلف .

---

(١) انظر : فتاوى معاصرة ج٣ ص ١٩٤ ـ ١٩٥ .

بل إن القرآن نفسه هو الذي حكم بكفر هؤلاء القوم ، قال تعالى : ﴿ لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴾ (البينة:١) .

وقال تعالى : ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ ﴾ (المائدة:٧٣) .

وقال تعالى : ﴿ لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ﴾ (المائدة:٧٢)

ويؤكد الشيخ القرضاوي كفر النصارى بأمور :

١- إشراكهم بالله تعالى .

٢- كفرهم بمحمد ﷺ قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴾ (النساء:١٥٠) ، يقول الشيخ : فاليهود والنصارى كفار في اعتقاد المسلمين ؛ لأنهم لم يؤمنوا برسالة محمد ﷺ ، الذي أرسل إلى الناس كافة ، وإليهم خاصة ، كما ذكرنا في الآيات الصريحة البينة ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ ٱلرُّسُلِ ﴾ (المائدة:١٩) .

وقد آمنوا ببعض الرسل وكفروا ببعض ، فهم بنص القرآن الصريح ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا ﴾ (النساء:١٥١) .

وهم لم يكتفوا بالكفر برسالة محمد ، والإعراض عنها ، بل كادوا له ومكروا به ، وصدوا عن سبيله . كما قال تعالى : ﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ (التوبة:٣٢).

٣- تحريفهم لكتبهم : واليهود والنصارى كفار ؛ لأنهم حرفوا كتبهم ، وبدلوا دينهم ، وقالوا على الله بغير علم ، وشوهوا حقيقة الألوهية في كتبهم ، ووصفوا الله بما لا يليق بجلاله وكماله ، ونسبوا إليه نقص البشر ، وعجز البشر ، وجهل البشر ، كما أنهم شوهوا صورة النبوة والأنبياء الذين جعلهم الله قدوة للبشر ، وهداة لهم ، فنسبوا إليهم من الرذائل ما لا ينسب لعوام الناس . وهذا

ثابت في «أسفار التوراة» التي يؤمن بها اليهود والنصارى جميعاً ، فكل ما يؤمن بـه اليهـود في شـأن الألوهيـة والنبـوة يـؤمن بـه النصـارى ، لأن التـوراة المحرفـة الموجودة الآن في أيديهم «كتاب مقدس» عند الطائفتين جميعاً .

ويزيد النصارى على اليهود ما انفردوا به في شأن المسيح ؛ حيـث اعتـبروه إلهاً ، أو ابن إله ، أو واحداً من ثلاثة أقانيم تكون «الإله» . وهذا قد قرر القـرآن بوضوح بين ، وبيان واضح : أنه كفر [1].

لكن الشيخ وإن كان يعتقد كفر أهل الكتاب مـن اليهـود والنصـارى ، فإنـه وضع عدة حقائق منبهاً عدم الإغفال عنها ، وهذه الحقائق هي :

١- أن كفر أهـل الكتـاب لـيس كفـر إلحـاد وجحـود بـالله ، ولكنـه كفـر تحريف وتبديل للدين ، وتشويه لعقيدة الألوهية والنبوة .

٢- أننا وإن قلنا بكفر اليهود والنصارى فلا يجوز أن نناديهم بـ «يا أيها الكفار أو الكافرون» لأن القرآن لم يستخدم هذا اللفظ قط إنما استخدم ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ﴾ (البقرة:٢١) و ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ ﴾ (الأعراف:٢٦) .

أما قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ (التحريم:٧) في سورة التحريم فإنما نداء للكفار بعد دخول النار ، وقوله : ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ (الكافرون:١) فقد كان رداً حاسماً لسد الباب أمام الكفار حين طالبوا الرسول بالإيمان بآلهتهم ليؤمنوا بإلهه [2].

ولما كان الشيخ حريصاً في دعوته علـى الإنصـاف ، بـل يعـد معلمـاً مـن معالم منهجه الدعوي ، فلم يحمله بغضه لهم من أن ينـوه علـى أنهـم أقـرب إلى

---

(١) انظر : موقف الإسلام العقدي ص ٣٧ ، ٣٨ ، و انظـر : فتـاوى معاصـرة ج٣ ص ١٦٩ ـ ١٧٠ بتصرف .

(٢) انظـر : موقـف الإسـلام العقـدي ص ٥٩ ومـا بعـدها باختصـار ، وانظـر : فتـاوى معاصـرة ج٣ ص١٨٢ وما بعدها باختصار .

ملة إبراهيم عليه السلام من النصارى ، وإن كان هذا جديداً على البعض ، غريباً على الآخرين ، مقلقاً لغيرهم ، يقول الشيخ : وأحب أن أنبه أن بعض الإخوة الذين يدافعون عن النصارى ، أو عن المسيحيين كما يحبون أن يسموا أنفسهم اليوم ، ويريدون أن يضفوا عليهم صفة الإيمان ، ويدخلوهم في زمرة المؤمنين بإطلاق ، في حين لا يصنعون ذلك مع اليهود .

وربما ضللهم عن الحقيقة سوء فهمهم لقوله تعالى : ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ﴾ (المائدة: ٨٢) .

فقد فهموا ـ من شدة عداوة اليهود للذين آمنوا وهم المسلمون ، وقرب مودة النصارى لهم ـ أن اليهود أبعد عن ملة إبراهيم ، وأعرق في الكفر من النصارى ، مع أنه لا تلازم بين الأمرين .

فالواقع أن اليهود ـ وإن وقعوا في التشبيه والتجسيم ـ لم يؤلهوا موسى ، كما أله النصارى عيسى ، ولم يقعوا في التثليث ، الذي سقط فيه المسيحيون .

وفي الشريعة : وجدنا اليهود يختنون أبنائهم ، كما هي سنة إبراهيم ، وأما النصارى فلا يختنون .

ووجدنا اليهود يذبحون ما يأكلون من الحيوانات والطيور ، في حين لا يذبح النصارى ، فقد قال لهم بولس : كل شيء طاهر للطاهرين .

واليهود يحرمون الخنزير والنصارى يبيحون الخنزير .

واليهود يحرمون التماثيل ، والنصارى يجيزون التماثيل للمسيح الذي هو عندهم إله حق ، وللأنبياء والقديسين ، ولذلك امتلأت كنائسهم بالصور والتماثيل[1].

---

(١) انظر : موقف الإسلام العقدي ص ٣٩ ـ ٤٠ .

الشيخ ومواجهة التنصير والتهويد :

وقد كان الشيخ حريصاً كل الحرص على متابعة أعمال التنصير ، والتهويد في ديار الإسلام بل كان صوتاً للحق ينادي المسلمين أينما كانوا بالوقوف صفاً واحداً تجاه هذه الهجمة الشرسة التي تشنها جيوش التنصير وفلوله لتنصير دول الإسلام وبنيه ، سواء في القارة السمراء ، أم في غيرها من دول وديار الإسلام .

يقول الشيخ : والتبشير أو التنصير[1] في البلاد العربية لا يطمع في تحويل المسلم إلى النصرانية صراحة ، فحسبه أن يزعزع إسلامهم إسلاميته ، ويشككه في مسلماته . وأما في خارج المنطقة العربية في أفريقيا وآسيا ، فقد نجح أحيانا في هذا التحويل ، وخصوصاً إذا تسلم الطفل منذ نعومة أظفاره ، وعلمه في مدارسه ، ونشأه على ثقافته ، وعزله عن أمته .

---

(١) تعد لفظة التبشير من الألفاظ المرادفة للتنصير ، بيد أن استخدام هذه اللفظة توحي بغير مضمونها ومعناها ، إنهم يعنون بذلك التبشير بالمسيح عليه السلام ودينه .

قال ابن سيده : التَّبْشِيرُ يكون بالخير والشر كقوله تعالى : ﴿ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ (الانشقاق:٢٤) . وقال الجوهري : بَشَرْتُ الرجلَ أَبْشُرُه بالضم ، بَشْراً و بُشُوراً من البُشْرَى ، وكذلك الإبشارُ و التَّبْشِيرُ ثلاثُ لغات ، والاسم البِشارَةُ و البُشارَةُ ، بالكسر والضم . يقال : بَشَرْتُه بمولود فَأَبْشَرَ إِبْشاراً أي سُرَّ . وتقول : أَبْشِرْ بخير ، بقطع الألف . و بَشِرْتُ بكذا ، بالكسر ، أَبْشَرُ أي اسْتَبْشَرْتُ به . انظر : لسان العرب ابن منظور ط دار صادر بيروت ط الأولى ج ٤ ص٦١ .

أما التنصير : جاء في لسان العرب : أن التنصير هو الدخول في النصرانية .

ويقول صاحب القاموس المحيط : النصرانية والنصرانة واحدة النصارى .

ويقال : نصراني وأنصار . ونصَّره : جعله نصرانياً . وتنصر : دخل في دينهم . انظر : لسان العرب ابن منظور ط دار صادر بيروت ٥ ص ٢١١ . و انظر : القاموس المحيط الفيروز أ بادي ج١ ص٦٢٢ .

والتنصير عند النصارى هو : هجوم المسيحية على الديانات المستوطنة في البلاد وكيفية الدعوة للديانة المسيحية ، والعمل على تشويه صورة الديانات الأخرى لدى المسيحيين أنفسهم ، وخصوصاً الإسلام . انظر : دراسات في التبشير والاستشراق د : يوسف عيد ، مطبعة الحسين ط الأولى ١٩٩٢م ص١٤ .

وقد رأينا في بعض بلدان أفريقيا رجالاً - بعضهم وصل إلى رئاسة الجمهورية - يحمل اسماً نصرانياً صريحاً ، ويتعامل على أنه نصراني ، وربما كان اسم أبيه أو جده محمداً أو أحمد .

ومنذ نحو ربع قرن كان التبشير يهدف إلى تنصير أكبر بلد مسلم في آسيا ، بل في العالم الإسلامي كله ، وهو أندونيسيا ، التي قرر أن يغلب فيها النصرانية على الإسلام في مدى خمسين عاماً . إلا أن هيأ الله رجالاً مثل د : محمد ناصر وإخوانه ، فوقفوا في وجه هذا التيار ، وخيبوا أمله ، وإن نجح جزئياً في بعض المناطق مثل تيمور الشرقية .

والمهم أن الكنيسة تحلم بتنصير العالم ، بل وتسعى سعيها لذلك ، ويسندها السياسيون الذين نرى أكثرهم لا يؤمنون بالدين ، أي دين ، فالمادة وحدها هي معبودهم ، ولكنهم يرون التنصير يخدم أهدافهم [1].

ولما أعلن المنصرون في مؤتمر بال بسويسرا عام ١٩٧٧م عن تنصير العالم ، وأكدوا ذلك في مؤتمر « كلورادوا » بأمريكا عام ١٩٧٨م ، وأنشأوا معهد « زويمر » للتنصير ورصدوا مبلغ ألف مليون دولار « ١٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠ » كان صوت القرضاوي هو الأعلى ، وكان نداؤه هو الأقوى ، فطاف البلاد مشرقاً ومغرباً منبهاً على هذا الخطر الداهم وأسفر هذا الجهد عن إنشاء « الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية » وكان مقرها الكويت ، وكان الهدف أن تجمع من المسلمين في أنحاء العالم ألف مليون دولار ، لا لأسلمة العالم كما هو المفروض ، ولكن لحماية أمة الإسلام وأتباع محمد ﷺ من هذا الخطر التنصيري الداهم .

يقول الشيخ عن الغرض من جمع المبلغ : وذلك باستثمار هذا المبلغ والإنفاق من عوائده على البلدان والمناطق الإسلامية التي تحتاج إلى إطعام الجائع ، وكسوة العاري ، ومداواة المريض ، وإيواء المشرد ، وكفالة اليتيم ،

---

(١) انظر : المسلمون والعولمة ص ٧٥ .

وتعليم الجاهل ، وتشغيل العاطل ، وتدريب العامل ، والنهوض بمستوى المسلمين الثقافي والاجتماعي والاقتصادي ، حتى لا يحتاجوا إلى تلك المؤسسات التنصيرية التي تحاول أن تقدم إليهم بعض هذه الخدمات ، لتجعلها ذريعة لفتنتهم عن دينهم [1].

الشيخ وبنو صهيون :

على الرغم من كثرة كتابة الشيخ عن الخطر الداهم لهذه الأمة من أعدائها إلا أن كتابات الشيخ عن بني صهيون غطت على غيرها ، وتكاد خطب الشيخ في الفترة الأخيرة إما عن أفعال بني صهيون كاملة ، أو أن يفرد الشيخ الخطبة الثانية لمكر اليهود إن كانت الخطبة الأولى خصصت لأمر آخر .

وكثيراً ما كان الشيخ يحذر من طغيان اليهود ، واختراقهم للنصارى ، بل تهويد النصرانية ، يقول الشيخ : ومن أخطر ، ما صنعته اليهودية ـ ولا تزال تصنعه ـ هو تهويد المسيحية . ومقتضاه تجنيد المسيحيين المتدينين أو «الأصوليين» لتبني قضية «إسرائيل» وملك «إسرائيل» وتأثير ذلك على مئات الملايين المسيحيين البروتستانت ، الذين يؤمنون بالعهد القديم «أسفار التوراة الخمسة» إيمانهم بالعهد الجديد ، ويرتبطون عقائدياً وعقلياً وعاطفياً بأرض التوراة ـ أي فلسطين ـ وشعب التوراة . وهذا ما جعلهم يتعاطفون مع تطلعات الصهيونية الحديثة وأحلامها الاستعمارية التوسعية في «أرض الميعاد» كما يسمونها ، وقد بدا ذلك في كثير من رجالهم في بريطانيا وفي أمريكا بجلاء ووضوح [2].

ويقول أيضاً : والعجيب أن هذه «العولمة الدينية» وإن كان عنوانها «تنصير العالم» ويقوم عليها الآباء المسيحيون ، والكنائس المسيحية ، إنما تصب في مصلحتها النهائية لصالح «اليهودية» العالمية ، أي لصالح «الصهيونية وإسرائيل» .

---

(١) انظر : المسلمون والعولمة ص ٧٦ ، ٧٧ .

(٢) انظر : أعداء الحل الإسلامي ص ٧١ .

وذلك أن المسيحية اخترقتها اليهودية من قديم ، بعضهم يردها إلى القديس «بولس» نفسه ، حتى إنهم يسمون المسيحية الحالية «مسيحية بولس» لا «مسيحية يسوع» .

وبعضهم يردها إلى «مارتن لوثر» مؤسس المذهب البروتستانتي [1].

ولما كان لكلمات الشيخ صدى كبير وأثر قوي في دول العالم الإسلامي ، فقد تنبهت لذلك دولة إسرائيل ، وأخذ الموساد الإسرائيلي يتحدث عن الشيخ القرضاوي باعتباره شخصية مؤثرة في دعم الانتفاضة من خلال كتاباته وخطبه[2]، حتى حذر أبناء «حماس» الشيخ القرضاوي من ترصد الموساد لكلماته وخطبه، لكن الشيخ أعلنها صراحة على منبر مسجد عمر بن الخطاب بالدوحة ، أنه يتمنى الموت في سبيل الله [3].

---

(١) انظر : المسلمون والعولمة ص ٧٩ .

(٢) من أراد أن يتعرف على اليهود ومكرهم في فكر الشيخ فليقرأ له : القدس قضية كل مسلم، أعداء الحل الإسلامي ، وفتاوى معاصرة ج٣ وللشيخ فيها اثنتى عشر فتوى عن اليهود وأفعالهم أخذت قرابة ٦٠ صفحة .

(٣) للمزيد انظر : كتابي (المنهج الدعوي عند القرضاوي) طبع ونشر مكتبة وهبة القاهرة ٢٠٠٧م . مبحث «العالمية» ، وفيه تحدثت عن عداوة اليهود وغيرهم للشيخ .